

في هذا العدد:

- علاج الأخطاء الشائعة المتعلقة بالصلاة في ضوء مقاصد سورة البقرة: دراسة تحليلية
عتيق الله مهران فقير خان، والسيد سيد أحمد محمد نجم، ويوسف محمد عبده محمد العواضي
- العرض المقارن المقيّد بالمصدر: منهجية لتوظيف الذكاء الاصطناعي في التفسير المقارن وتطبيق تجريبي على جزء عم
محمود حمود، وعبد الغني قمر جمعة جاد الله
- Definiteness and Indefiniteness in Recurring Qur'anic Vocabulary: A Semantic and Contextual Study
Mohammed Minhaj Uddin
- Knowledge and the Foundations of Scientific Methodology in the Noble Quran
Souad Ouhab; Nacera Mamache
- نعمة معرفة الخالق وهدايتها التربوية في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية
مروة سلطان عديل الحباري، وعبد العالي باي زكوب، ويوسف محمد عبده محمد
- الصبر في مواجهة الاختلاف عند الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية
هرشي بولندي، والسيد سيد أحمد محمد نجم
- الأحاديث الحسنة التي أخرجها ابن حبان في صحيحه من بداية باب العفو من كتاب البر والإحسان- إلى نهاية باب الجار: جمعاً ودراسة
أروى حسن حمزة مشرف، ومهدي عبدالعزيز
- منهج الصحابة في اختيار الخليفة: دراسة تحليلية
جواد أحمد أحمد القاضي، وإبراهيم محمد البيومي
- الخواء الروحي ودوره في نزعة الانتحار: دراسة عقديّة
شداد بن خالد محمد عطية
- الدين والصحة النفسية: دراسة تأصيلية في أثر العقيدة والعبادة والأخلاق في تحقيق الاتزان النفسي
محمد خير حسن محمد العمري
- دعاوى المشركين الواردة في القرآن الكريم المتضمنة القدح في الإيمان بالله تعالى، ومنهج القرآن في الرد عليها: جمعاً ودراسة
سلطان عالي علي السفياني
- سجود الكون وتسبيحه لله عز وجل بين الوحي والمعطيات العلمية
أسماء عبد المجيد الزنادي
- الآثار القضائية لتأجيل الحكم في الفقه الإسلامي والقانون الغامبي: دراسة مقارنة
عبدالله محمد حالي، ومجدي عبد العظيم إبراهيم فرج
- تأصيل نظرية الضمان الذكي في المسؤولية المدنية عن أضرار أنظمة الذكاء الاصطناعي: دراسة فقهية تطبيقية
سعيد محمد عزيز برون
- الإمام الشوبري ومنهجه في حاشيته على تحفة الطلاب شرح التحرير للأتصاري
حسين علي جبر معيوف، ونادي قبضي
- المآلات وعلاقتها بالعلل والأسباب والشروط عند ابن تيمية: دراسة أصولية تحليلية
هشام برزنجي، وصلاح عبدالنواب
- آراء الإمام النسائي الفقهية المتعلقة بأحكام الأسرة: دراسة تحليلية
نجاة حسين عبدالرحمن باجمال، وصلاح عبدالنواب
- منهج الشيخ الإتيوبي في الترجيح بين الأدلة الشرعية المتعارضة
حسن محمد خلاوي، وصلاح عبدالنواب
- UVIF as a Computational Framework Compatible with Islamic Epistemology and Decision Philosophy
Habib Hamam
- الإدارة التنظيمية في مرحلة التمكين: قراءة تحليلية في نموذج موسي (عليه السلام) من خلال سورة يونس (الآية 87)
نجم عبد الودود نعمة الجزائري



DOI: <https://doi.org/10.63226/iisj.v10i3.6092>

دعاوى المشركين الواردة في القرآن الكريم المتضمنة القدح في الإيمان بالله تعالى، ومنهج القرآن في الرد عليها: جمعاً ودراسة

[The Claims of the Polytheists Mentioned in the Noble Qur'an That Include Criticism of Faith in Allah Almighty, And the Qur'an's Approach to Responding to Them: A Compilation and Study]

Sultan Aali Ali Alsufyani¹

¹ Associate Professor in the Department of Creed at Umm Al-Qura University.
35900 Tanjong Malim, Perak, Malaysia.

* Corresponding Author: sasufyani@uqu.edu.sa

الملخص

فإن البحث في الدعاوى الواردة في القرآن الكريم ذو أهمية قصوى؛ وذلك لدخوله ضمن تدبير القرآن المأمور به، وكذلك تنوع أساليب القرآن في الرد على الدعاوى الواردة فيه، ورده على كل دعاوي المخالفين، وقد اشتمل البحث على استقراء جميع الدعاوى التي وردت في القرآن الكريم، والمتضمنة القدح في الإيمان بالله تعالى، وقد استخدم الباحث المنهجين الاستقرائي والوصفي، وجاء البحث في ثلاثة مطالب: الأول لمناقشة دعاوى المشركين التي وردت في القرآن الكريم والمتضمنة القدح في الإيمان بربوبية الله تعالى، والثاني للدعاوى التي وردت للقدح في ألوهيته تعالى، والثالث للدعاوى المتضمنة القدح في أسمائه وصفاته تعالى، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: تنوع الحجج القرآنية في الرد على الخصوم، وتضمنها كثيراً من الردود التي تخاطب العقل والوجدان، وتضمن القرآن الكريم الرد على جميع الدعاوى التي يوردها المخالفون، وأن الردود الواردة في القرآن الكريم على دعاوى المخالفين هو بالمجموع لا بالأعيان، وذلك أن عدم ورود رد على دعاوى من الدعاوى في موطن لا يعني عدم الرد عليها في مواطن أخرى..

الكلمات المفتاحية: دعاوى - المشركين - القرآن - الإيمان بالله - الرد.

ABSTRACT

Researching the claims mentioned in the Holy Quran is of paramount importance. This is because it falls under the category of reflecting upon the Quran, which is commanded, and because of the Quran's diverse methods of responding to the claims made within it, and its refutation of all the claims of those who disagree. The research included an examination of all the claims mentioned in the Holy Quran that impugn belief in God Almighty. The researcher used both inductive and descriptive methodologies, and the research was divided into three sections: the first discusses the claims of the polytheists mentioned in the Holy Quran that impugn belief in God's Lordship; the second addresses claims that impugn His Divinity; and the third examines claims that impugn His Names and Attributes. Among the most important findings of the researcher are: the diversity of Quranic arguments in refuting opponents, including many responses that appeal to both reason and emotion; the Holy Quran contains refutations of all the claims made by those who disagree; and the refutations in the Holy Quran are comprehensive, not specific to each claim, because the absence of a refutation of a claim in one place does not mean it is not addressed in other places..

Keyword: *Claims – Polytheists – Quran – Belief In Allah – Refutation.*

المقدمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ و﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد

فإن الله تعالى أنزل كتابه العزيز نورا وهدى للناس، وضمَّنه جل وعلا من أنواع الهدايات ما يكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ومن أنواع الهدايات التي أنزلها الله تعالى في كتابه: حكاية دعاوى المخالفين التي أوردوها على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، محتجين بها عليهم، مستشهدين بها على صحة ما هم عليهم من باطل، ومن ثم الإجابة عنها بأنواع من الإجابات التي تقطع دابر تلك الحجج، وتزيل اللبس الذي قد يحصل بها.

وقد تنوعت تلك الدعاوى التي ذكرها الله تعالى في كتابه عن المخالفين، وأكثر تلك الدعاوى ما أورده الله تعالى عن المشركين، الذين رفضوا الحق الذي جاءهم به أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام. ويمكن تصنيف تلك الدعاوى إلى عدة أقسام:

- فمنها ما يتعلق بالله تعالى، متضمنة القدح في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو ما سيكون مضمون هذا البحث.

- ومنها ما يتعلق بالقدح في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- ومنها ما يتعلق بالقدح في مضمون رسالاتهم.

- ومنها ما يتعلق بالغيبات.

- وسأتناول في هذا البحث بمشيئة الله تعالى الحديث عن القسم الأول، وهي دعاوى المشركين المتعلقة بالله تعالى، ووسمته ب: (دعاوى المشركين الواردة في القرآن الكريم المتضمنة القدح في الإيمان بالله تعالى، ومنهج القرآن في الرد عليها - جمعًا ودراسة-).

• أهمية الموضوع:

1. أن هذا داخل في معنى تدبر القرآن الذي أمر الله تعالى به في قوله جل وعلا: ﴿كَتَبْنَا نَزْلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ أَتَاتَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، ولا شك أن موضوع الدعاوى التي أوردتها القرآن الكريم عن المخالفين من الموضوعات التي أولاهها القرآن الكريم عناية كبيرة¹.

¹ ينظر: العمري، وليد بن عبدالحسن، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها، ص 67، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ج2، ص111-112.

2. أهمية دراسة منهج القرآن الكريم في مناقشة دعاوى المخالفين، حيث اشتملت على أفضل المناهج من حيث:

- تنوع الأساليب في الرد.
- تنوع الحجج والبراهين التي ترد بها تلك الشبه ما بين سمعي وعقلي.
- كونها قريبة واضحة المعنى.
- تكرار عرض عدد من الشبه، وتنوع طرق عرضها؛ وبالتالي تنوع طرق الرد عليها بما يرسخ تفنيدها والرد عليها، ويشد الانتباه إليها.

3. أن كل دعوى للمخالفين ذكرها الله تعالى في كتابه قد تم الرد عليها، وذلك بأحد الطرق التالية:

- أ- الرد المباشر.
- ب- التأخر حتى استيفاء المقالة.
- ت- أن يكون الرد مفهوما من السياق، بأن تَرَدَّ في سياق التوبيخ والذم ونحوه.
- ث- الاستغناء بالرد في مواطن عن تكرار الرد في مواطن أخرى، فالقرآن متشابه، يصدق بعضه بعضاً¹.

● مشكلة البحث:

محاولة استخلاص منهج القرآن الكريم في الرد على دعاوى المشركين المتضمنة القدح في الإيمان بالله تعالى، من خلال استقراء تلك الدعاوى، واستقراء الردود الواردة عليها.

● أهداف البحث:

- 1- بيان الدعاوى التي تمثل قدحاً في ربوبية الله تعالى، ومنهج القرآن في الرد عليها.
- 2- بيان الدعاوى التي تمثل قدحاً في ألوهية الله تعالى، ومنهج القرآن في الرد عليها.
- 3- بيان الدعاوى التي تمثل قدحاً في أسماء الله تعالى وصفاته، ومنهج القرآن في الرد عليها.

● تساؤلات البحث:

- س1: ما الدعاوى التي ذكرها الله في كتابه مما يمثل قدحاً في ربوبيته تعالى؟ وما منهج القرآن الكريم في الرد عليها؟
- س2: ما الدعاوى التي ذكرها الله في كتابه مما يمثل قدحاً في ألوهيته تعالى؟ وما منهج القرآن الكريم في الرد عليها؟
- س3: ما الدعاوى التي ذكرها الله في كتابه مما يمثل قدحاً في أسماء الله تعالى وصفاته؟ وما منهج القرآن الكريم في الرد عليها؟

● منهج البحث:

اعتمدت في كتابة البحث على المنهجين: الاستقرائي والوصفي، وذلك باستقراء جميع مواضع القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر دعاوى المشركين التي تتضمن القدح في الإيمان بالله تعالى، ومن ثم بيان ما في تلك النصوص من ردود على تلك الدعاوى.

1 ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، ج3، ص355.

• الدراسات السابقة:

هناك عدة أبحاث تهتم بردود القرآن الكريم على دعوى المخالفين، إلا أن معظمها تهتم بالجانب البلاغي، بينما يهتم هذا البحث بالجانب العلمي العقدي.

ومن الدراسات ذات الصلة بهذا الموضوع، دراسة لفضيلة الدكتور: وليد بن عبد المحسن العمري، والذي هو بعنوان: (المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها - دراسة تأصيلية موضوعية)، وهي رسالة دكتوراة من طباعة كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود عام 1436 هـ، ومع استفادتي من البحث، وكونه لصيقًا ببحثي، إلا أن هناك فروقًا جوهرية بينهما، أهمها:

1- بحث الدكتور وليد في الأصل تأصيلي، مع ذكر نماذج للمقولات، وليس مختصا بالشبهات العقدية كما هو الحال في بحثي.

2- تركيز الدكتور وليد على كل مقولة رد عليها القرآن، بغض النظر عن كونها تمثل حجة من عدمه، بل قد تكون مقولة مجردة لا حجة فيها، بينما بحثي يركز على ما يمثل دعوى في سياق الاحتجاج ليرد بها المخالفون على أنبيائهم¹.

3- الباحث يذكر المقولات المصرح بها والمقدرة، بينما بحثي في الدعوى التي تكلم بها أصحابها وأوردها القرآن الكريم عنهم².

4- بحثي استقرائي، يتبع الدعوى التي أوردها المشركون على أنبيائهم ورسلمهم فيما له صلة بالقدح في الله تعالى، وبيان أوجه الرد على تلك الشبه.

• خطة البحث:

وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب.

- المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأهدافه والدراسات السابقة وخطة البحث.
- التمهيد: وفيه بيان أساليب عرض شبه المخالفين، ومنهج إبطالها.
- المطلب الأول: دعوى المشركين التي تتضمن القدح في ربوبية الله تعالى، ومنهج القرآن الكريم في الرد عليها.
- المطلب الثاني: دعوى المشركين التي تتضمن القدح في ألوهية الله تعالى، ومنهج القرآن الكريم في الرد عليها.
- المطلب الثالث: دعوى المشركين التي تتضمن القدح في أسماء الله وصفاته، ومنهج القرآن الكريم في الرد عليها.

- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

- الفهارس.

سائلًا الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

1 ينظر: العمري، وليد بن عبد المحسن، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها، ص 8.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 14.

التمهيد: وفيه بيان أساليب عرض شبه المخالفين، ومنهج إبطالها:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساليب عرض شبه المخالفين في القرآن الكريم

للقرآن الكريم أسلوب فريد في عرض شبهات وحجج المخالفين، يتضح معه إعجاز هذا الكتاب وعظمته، ويمكن تقسيم أساليب القرآن الكريم في عرض شبهات المخالفين باعتبار متعديدة:

- فباعتبار التكرار من عدمه تنقسم إلى قسمين:

1. الحجج التي ورد تكرارها في أكثر من موطن.
 2. الحجج التي وردت في موطن واحد.
- والتي وردت في أكثر من موطن يتم الإجابة عنها بإجابات مختلفة، رغم وحدة موضوع الشبهة: مراعاة لاختلاف حال المخاطبين، ما بين مسترشد يريد الحق، أو في سياق التوضيح للقضية، أو كون المخاطب مجادلًا بالباطل.

وقد تُعرض جوانب من الشبهة في موطن بخلاف المواطن الأخرى؛ لقصد التدرج مع المخاطب، أو لتشيت قناعاته، أو لإلزامه ببعض المسلمات التي كان ينبغيها¹.

- وباعتبار زمن الشبهة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

1. صيغة الماضي: وهي الأكثر؛ كونها وقعت، وتذكر للإجابة عنها.
2. صيغة المضارع؛ بسبب قرب زمنها، أو لتجديدها.
3. صيغة المستقبل؛ وذلك لإصرارهم عليها، أو للإخبار بما قبل وقوعها، فيكون أبعد عن الاضطراب إذا وقعت، أو لتكون دليلًا من دلائل النبوة².

- وباعتبار أسلوبها تنقسم إلى:

1. الأسلوب الخبري، وهو الأكثر ورودًا.
2. أسلوب التعجب: من الله، بأن يعجب تعالى من مقالته، أو منهم أنفسهم، بأن يعجبوا من بعض ما يُدعون إليه.
3. أسلوب القسم: بأن يُقسموا على صدق مقالته.
4. أسلوب الاقتراح، تعني لا استرشادًا.

1 ينظر: العمري، وليد بن عبدالحسن، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها، ص 47-48.

2 ينظر: المصدر نفسه، ص 53-54.

5. أسلوب التهكم والسخرية.
6. أسلوب التحدي.
7. تصوير المقولة حسّيًا، وذلك لشد انتباه السامع، وبيان مشاعر القائل.
8. أسلوب التوكيد.
9. عرضها في سياق الترهيب.
10. عرضها في سياق النهي عن التشبه بقائلها.
11. عرضها بعد عرض شناعة أفعالهم.
12. عرضها بوصفهم بوصف منفرد.
13. عرضها بعد عرض منهج القرآن فيها¹.

المطلب الثاني: منهج القرآن في إبطال الشبه المخالفين

ليس المقصود من الرد على شبهات المخالفين مجرد الرد عليهم، بل هناك مقاصد أعظم وهي:

1. تأسيس اليقين: وهذا مقصد عظيم، بل هو مقصد أولي للرد على تلك الشبه، خاصة إذا كانت الشبه من معاندين لا يمكن أن يستجيبوا للحق أو يقبلوا به.
 2. وضوح الردود وقربها، فهي "أقرب الطرق إلى العقل، وأسهلها تناولًا، وأقلها تكلفًا، وأعظمها غناءً ونفعًا، وأجلها ثمرة وفائدة؛ فحججه سبحانه التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية، ظاهرة واضحة، قليلة المقدمات، سهلة الفهم، قريبة التناول، قاطعة للشكوك والشبه، ملزمة للمعاند والجاحد؛ ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ، وعموم الخلق أنفع"².
 3. جمعها بين مخاطبة العقل والوجدان، فهي ليست عقلية جافة لا تخاطب القلوب وتؤثر فيها³.
- أما منهج القرآن الكريم في الرد على شبهات المخالفين، فيتلخص في النقاط التالية:
1. الدعوة للتفكير وإمعان النظر فيما يورده السامع من شبه، وإعادة النظر فيها.
 2. ذم التقليد والإنكار على من يقلد دون بينة.
 3. الاهتمام بالجانب العلمي، المتمثل في السؤال عن الدليل والبرهان.
 4. استخدام الأساليب المتنوعة والمختلفة، وعدم الاختصار على أسلوب واحد ومنها: التشبيه، التمثيل، والسبر والتقسيم، والاستفهام بنوعيه: التقريري والإنكاري، والأقيسة بأنواعها.

1 ينظر: العمري، وليد بن عبدالحسن، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهجه في إبطالها، ص 58-63.

2 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ج 2، ص 111-112.

3 ينظر: العمري، وليد بن عبدالحسن، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهجه في إبطالها، ص 66-69.

5. الاستدلال على ما ينكره المخاطب بما يقر به.
6. الحيدة عن الأسئلة الجدلية إلى ما ينفع المخاطب.
7. التَّنَزُّل مع الخصم، بموافقته على مقدمة فاسدة لبيان أنها تقود إلى تناقض أو فساد أو أمر محال.
8. قلب الدليل على المخالف.
9. المواجهة مع الخصم: ومن ذلك: اللعن، والمباهلة، والتبكيك، والتهكم¹.

المطلب الأول: دعاوى المشركين التي تتضمن القدح في الإيمان بربوبية الله تعالى

ربوبية الله تعالى تقتضي إفراجه جل وعلا بالخلق والملك والتدبير، ويشمل ذلك ملكه جل وعلا للنفع والضرر، وأي خلل في هذا: بنفيها عن الله تعالى، أو نسبتها إلى غيره، يعتبر قدحًا في الإيمان بربوبيته جل وعلا. وقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من الدعاوى التي تمثل قدحًا في الإيمان بربوبية الله جل وعلا، وبيانها كالتالي:

الدعوى الأولى: إنكار وجود الله تعالى:

ولم ترد هذه الدعوى في القرآن إلا عن فرعون، وقد ذكرها الله تعالى في أربعة مواطن، وبيانها كالتالي:

الموطن الأول: قول الله تعالى: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ "أي: الذي بعثك وأرسلك من هو؟ فإني لا أعرفه، وما علمت لكم من إله غيري"² "فأضاف الرب إليهما ولم يصفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما ولجده للربوبية"³.

ويلاحظ أن "سؤال فرعون بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، استفهام إنكار لوجوده، ليس هو استفهام طلب لتعريف ماهيته كما ظن ذلك بعض المتأخرين"⁴.

الموطن الثاني: قول الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ "يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون، وتمرده وطغيانه ووجوده، في قوله: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] ...، وكانوا يححدون الصانع تعالى، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: 46]، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف⁵. وهذا القول إنما "قاله على طريق استفهام الإنكار، يقول: هذا الذي تقول إنه أرسلك، ما هو؟ عَرَفْنَا به؟ فأجابه موسى جواباً من يعرف أنه يعرفه، ويظهر إنكاره، ويقول: هو أعَرَفَ من أن يُعَرَفَ، وأَبَيُّ

1 ينظر: المصدر نفسه، ص 75-108.

2 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 297.

3 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج 3، ص 435.

4 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، منهاج السنة النبوية، ج 2، ص 271.

5 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 38.

من أن يحتاج إلى إظهار، وهو معروف عندك"¹.

الموطن الثالث: قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الْخَلْقِ فَأَجْعَلْ لِي صَرَخًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]².

الموطن الرابع: قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَّعَلِّي أَتْلُعُ أَلَسْتُ بِأَسْبَبَ﴾ [القصص: 38] **أَسْبَبَ السَّمَنَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا** "أي: وإني لأظن موسى كاذباً في ادعائه بأن له إلهاً، أو فيما يدعيه من الرسالة"³

ويلاحظ أن هذه الدعوى قد رُدد عليها في القرآن بعدة ردود:

الرد الأول: الرد المباشر من قبل موسى عليه السلام، بإثبات الربوبية لله تعالى، فقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ "يقول: ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر، وجعل الخليفة على ما أراد"⁴.

وكذلك في الآية الثانية بين له أنه جل وعلا خالق العالم كله ومدبره ومربيه، ومن جملته أولئك المخاطبون⁵.
الرد الثاني: بيان أنه تعالى هو الذي هدى كل شيء من خلقه لما يصلح له، وهذا من مقتضيات ربوبية الله جل وعلا، ولذا حكى ابن كثير رحمه الله عن عدد من أئمة السلف عدداً من الهدايات ومنها: "قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس يقول: خلق لكل شيء زوجة.

وقال الضحاك عن ابن عباس: جعل الإنسان إنساناً، والحمار حماراً، والشاة شاة.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: أعطى كل شيء صورته.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: سوى خلق كل دابة.

وقال سعيد بن جبيرة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ قال: أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا للدابة من خلق الكلب، ولا للكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح، وهياً كل شيء على ذلك، ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح.

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، الرد على الشاذلي، ج 1، ص 246، وينظر: مجموع الفتاوى، ج 16، ص 334، ودرء تعارض العقل والنقل، ج 8، ص 39، وابن أبي العز، محمد بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، ج 1، ص 26.

2 ينظر: الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ج 1، ص 108.

3 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج 4، ص 564، وينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص 420.

4 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 297 - 298، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، ج 2، ص 399.

5 ينظر: ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 590.

وقال بعض المفسرين: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٥﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٥٦﴾﴾ [الأعلى: 3] أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه، أي: كتب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك، لا يحيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه¹.

وقد بين ابن القيم ربه الله أثر هذا الجواب ودقته، فقال: "ولهذا لما علم فرعون أن هذه حجة قاطعة لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، عدل إلى سؤال فاسد غير وارد فقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥٧﴾﴾ طه [51]، أي: فما للقرون الأولى لم تُقر بهذا الرب ولم تعبد، بل عبدت دونه الأوثان، والمعنى: لو كان ما تقوله حقا لم يخف على القرون الأولى، ولم يهملوه، فاحتج عليه موسى عليه السلام بما يشاهده هو وغيره من آثار ربوبية رب العالمين، فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين، وهذا شأن كل مبطل².

الرد الثالث: بيان أنه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن جملة ذلك المخاطبون، فقال لهم: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الشعراء: 24]. فلما بدا فرعون "متجاهلا أنه لا يعرفه، وأنه منكور لا يعرف، فخاطبه موسى بما بين له أنه أعرف من أن ينكر، وأعظم من أن يجحد، فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٥٩﴾﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: 24-26]³.

الرد الرابع: ذكر الباعث على ذلك القول، وأنه من تزيين الشيطان، مما دفعه إلى التماذي في الغي والاستمرار في الطغيان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: 37]، "فهو سبحانه يزين لكل عامل عمله فيراه حسنا، وإن كان ذلك العمل سيئا، إذ لو رآه سيئا لم يرده ولم يختره، إذ الإنسان مجبول على محبة الحسن وبغض السيء، فالحسن الجميل محبوب مراد، والسيء القبيح مكروه مبغض⁴.

الرد الخامس: بيان أنه لم يضل فقط، بل صُدَّ عن السبيل، فالتماذي في الغي يؤدي إلى الصد عن سبيل الخير، كما قال تعالى: ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴿٦٣﴾﴾ [غافر: 37]⁵.

الرد السادس: التوعد بالخسار والهلاك، وذلك عقوبة لكيده، فلا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة،

1 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص297 - 298، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، جامع المسائل، ج6، ص79، فقد أشار إلى فائدة هذه الطريقة في إثبات الربوبية، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، ج1، ص261، وبدائع الفوائد، ج2، ص445، والسفاري، محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية، ج1، ص334.

2 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ج1، ص263.

3 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، منهاج السنة النبوية، ج1، ص231، وبيان تلبيس الجهمية، ج6، ص236.

4 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، الاستقامة، ج1، ص367، وينظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج4، ص564.

5 ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج4، ص564.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: 37]¹.

الدعوى الثانية: زعم النمرود أنه يحيي ويميت:

وقد وردت هذه الدعوى في سورة البقرة، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258].

وقد اتخذ إبراهيم عليه والسلام منهجية التنزل مع الخصم رغم ضعف حجته وضحالة فكرته وتلبيسه فيها، وقام بإلزامه بشيء لا يمكن أن يأتي بمثله أو يلبس فيه، فقال عليه السلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾². قال ابن القيم رحمه الله: "مَنْ تَأَمَّلَ مَوْقِعَ الْحِجَاجِ وَقَطَعَ الْمَجَادِلَ فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقَفَّ عَلَى أَعْظَمِ بَرَهَانٍ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ. فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَجَابَ الْمِحَاجَّ لَهُ فِي اللَّهِ بِأَنَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، أَخَذَ عَدُوَّ اللَّهِ فِي مَعَارَضَتِهِ بِضَرْبٍ مِنَ الْمِغَالِطَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ يَقْتُلُ مَنْ يَرِيدُ وَيَسْتَبْقِي مَنْ يَرِيدُ، فَقَدْ أَحْيَا هَذَا وَأَمَاتَ هَذَا. فَأَلْزَمَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى طَرْدِ هَذِهِ الْمَعَارِضَةِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي حَرَكَةِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي يَأْتِي اللَّهُ بِهَا مِنْهَا، إِذَا كَانَ بِزَعْمِهِ قَدْ سَاوَى اللَّهُ فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيَتَصَرَّفْ فِي الشَّمْسِ تَصَرُّفًا تَصَحُّ بِهِ دَعْوَاهُ. وَلَيْسَ هَذَا انْتِقَالًا مِنْ حُجَّةٍ إِلَى حُجَّةٍ أَوْضَحَ مِنْهَا. كَمَا زَعَمَ بَعْضُ النُّظَارِ. وَإِنَّمَا هُوَ الْإِزَامُ لِلْمُدَّعِي بِطَرْدِ حُجَّتِهِ إِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً"³.

الدعوى الثالثة: زعم قوم هود أن آلهتهم قد اعترته بسوء:

فبعد أن دعاهم عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وحده وترك معبوداتهم من دونه، احتجوا عليه بأنه لم يعب آلهتهم إلا لأنها قد أصابته بسوء، من خبل أو جنون، انتقاماً منه على سبه لهم، قال الله تعالى في سياق حكاية قولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾⁴.

وقد رد عليهم هود عليه السلام في دعواهم هذه بعدة ردود وهي:

الرد الأول: إشهاد الله تعالى وإياهم على براءته من آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى، ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^٥، "فأشهد الله أولاً على براءته من دينهم وما هم عليه إلهاد واثق به،

1 ينظر: ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 737.

2 ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالسلام، مجموع الفتاوى، ج 6، ص 256.

3 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ج 1، ص 250، وينظر: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ج 4، ص 113.

4 ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 4، ص 184، وابن عبد الوهاب، سليمان بن عبدالله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص 417.

معتمد عليه، معلم لقومه أنه وليه وناصره وغير مسلط لهم عليه. ثم أشهدهم - إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة: أنه بريء من دينهم وأهنتهم التي يوالون عليها، ويعادون عليها، ويبدلون دماءهم وأموالهم في نصرتها"¹.

الرد الثاني: تحديهم هم وأهنتهم أن يصيبوه بأذى عاجل، فقال لهم: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾، فهنا "أكد عليهم ذلك بالاستهانة بهم واحتقارهم وازدراءهم، وكونهم يجتمعون كلهم على كيدهم وشفاء غيظهم منه، ثم يعالجونه ولا يمهلونهم. وفي ضمن ذلك: أنكم أضعف وأعجز وأقل من ذلك، وأنكم لو رمتموه لانقلبتم بغيظكم مكبوتين مخذولين"².

الرد الثالث: بيان أنه متوكل على الله تعالى، فلا يصيبه إلا ما كتبه الله عليه، إذ كل شيء مملوك لله تعالى مدبر له، فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، "فَهَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُرْسَلِينَ مِمَّا يَبِينُ أَنَّهُ بِتَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ يَدْفَعُ شَرَّهُمْ عَنْهُ بين أنه توكل على من أخذ بنواصي الأنفس وبسائر الدواب، فهو يدفعكم عني؛ لأني متوكل عليه، ولو كان وجود التوكل كعدمه في هذا لكان قد أغراهم بالإيقاع به، ولم يكن لذكر توكله فائدة، إذ كان حقيقة الأمر عند هؤلاء أنه لا فرق بين من توكل ومن لم يتوكل في وصول العذاب عليه، وهم كانوا أكثر وأقوى منه، فكانوا يهلكونه لولا قوته بتوكله عليه، فإن التوكل إن لم يعطه قوة فهم أقوى منه. وهو لو قال بأن الله مولاي وناصري ونحو ذلك لعلم أنه قاله مخبراً فالله يدفعهم عنه وإنما يدفعهم لإيمانهم وتقواه ولأنه عبده ورسوله والله تعالى مع رسله وأوليائه"³.

رابعاً: بيان أن الله تعالى حكم عدل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، "أي: مع كونه سبحانه آخِذاً بنواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء، فهو على صراطٍ مستقيم، لا يتصرف فيهم إلا بالعدل والحكمة والإحسان والرحمة"⁴.

1 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج4، ص473-474.

2 المصدر نفسه، ج4، ص474.

3 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، جامع الرسائل، ج1، ص96-97.

4 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد، ج4، ص296، وينظر: الداء والدواء، ج1، ص481، والحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ج1، ص49.

المطلب الثاني: دعاوى المشركين التي تتضمن القدح في الإيمان بألوهية الله تعالى

ألوهية الله تبارك وتعالى تتضمن إفراده بالعبادة وحده لا شريك له، ومنه التشريع، وبيان الحلال والحرام، فالخلل فيه قدح في الإيمان بألوهية الله تعالى. وقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من الدعاوى التي أوردتها المشركون، والتي تمثل قدحًا في الإيمان بألوهية الله تعالى، وبيانها كالتالي:

الدعوى الأولى: ادعاء فرعون الإلهية:

وقد ذكر الله تعالى ذلك عنه في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا كُتَابَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنِ الْكَذِبِينَ﴾ [القصص: 38].

الموضع الثاني: قوله تعالى حكاية لقول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، ففرعون ادعى الربوبية والألوهية¹.

قال ابن تيمية رحمه الله: "أعظم السيئات: جحود الخالق والشرك به، وطلب النفس أن تكون شريكة وندا له، أو أن تكون إلها من دونه. وكلا هذين وقع، فإن فرعون طلب أن يكون إلها معبودا دون الله تعالى، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، وقال لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.... وإبليس يطلب أن يعبد ويطاع من دون الله، فيريد أن يعبد ويطاع هو، ولا يعبد الله ولا يطاع، وهذا الذي في فرعون وإبليس هو غاية الظلم والجهل"².

وقد رد الله تعالى على هذه الدعوى في الآية الثانية، ببيان أنه أهلكه في الدنيا، وذلك بإغراقه، مع توعده بالعذاب الأخروي، فقال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: 25]³.

"فإن الله سبحانه ذكر هذا الكلام عنه منكرًا له غاية الإنكار مبينا لعقوبته، فقال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ١١ ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ١٢ ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ ١٣ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٤ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ ١٦ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ ١٧ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ ١٨ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ ١٩ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ٢٠ [النازعات 15-26]. فقد صح من الله سبحانه أنه أخذ نكالًا على ذلك، وجعله في ذلك عبرة، وجعل المناداة بهذه الكلمة عينها عين الكفر، حيث

1 ينظر: ابن عبد الوهاب، عبد اللطيف بن عبد الرحمن، البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، ص 9.

2 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، ج 14، ص 323، وينظر: مجموع الفتاوى، ج 7، ص 633، وجامع المسائل، ج 6، ص 226-227.

3 ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 5، ص 207.

قال: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۖ فَحَشَرَ فَنَادَى ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۖ﴾.

وقد قالوا: إن قوله: الآخرة والأولى، أي: كلمته الأولى، وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾.

وكلمته الأخرى وهي قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، فإن هذه أعظم من تلك¹.

الدعوى الثانية: العجب من جعل الآلهة إلهًا واحدًا، يسمع دعاء جميع المخلوقات، ويعلم عبادة

الجميع:

وقد ورد هذا العجب والاستنكار في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

عَجَابٌ﴾ [ص: 5]².

"فأنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان، وأشرته قلوبهم، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الله بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا، وقالوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾"³، فهم لم يستنكروا الشرك، بل تعجبوا من التوحيد⁴.

وقد ذكر الله جل وعلا أنهم لم يتجرأوا على هذا القول الشنيع وغيره من الأقوال إلا بسبب عدم إداقتهم العذاب، فقال سبحانه: ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ [ص: 8] "ومن المعلوم أن من هو بهذه الصفة يتكلم عن شك وعناد، وأن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب فقال: ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ أي: قالوا هذه الأقوال، وتجروا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب الله شيء، فلو ذاقوا عذابه، لم يتجرأوا"⁵ ففي السياق رد بالتوعد بالعذاب.

الدعوى الثالثة: زعم المشركين أن شركاءهم الذين أشركوهم مع الله سيشفعون لهم يوم القيامة:

وقد وردت هذه الدعوى في ثلاثة مواطن:

الموطن الأول: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^{١٦}، "فإنه سبحانه أخبر عن المشركين

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص 380.

2 ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 20، ص 18.

3 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 53.

4 ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، ج 2، ص 254، ودرء تعارض العقل والنقل، ج 8، ص 523.

5 ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 709.

... بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله، يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون إذن الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فأخبر سبحانه عن شفعاتهم أنهم زعموا أنهم فيهم شركاء¹.

الموطن الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، فقد "سمى الله آلهتهم التي عبدوها من دونه شفعاء كما سماها شركاء في غير موضع فقال في يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"².

الموطن الثالث: في قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾، أي: بل اتخذوا، والهمزة للإنكار كما سيأتي بيانه في الردود³.

ونظرا لكثرة احتجاج المشركين بهذه الشبهة، وكونها من الأسباب الرئيسية لشركهم؛ فقد تنوعت الردود عليها، وبياناها كالتالي:

الرد الأول: بيان ذهاب الشفعاء المزعومين عن أولئك المشركين وعدم نفعهم لهم، قال سبحانه: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: 94]⁴، ففي الآية معنى التقرير والتوبيخ لهم على فعلهم⁵.

الرد الثاني: بيان انقطاع الصلات بين المشركين وشفعاتهم المزعومين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94] "فلا تواصل بينهم ولا تواد ولا تناصر، وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون، فاضمحل ذلك كله في الآخرة، فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله"⁶.

الرد الثالث: الإنكار على المشركين؛ وذلك أن قولهم فيه استدراك على الله تعالى في علمه بأنه ليس شيء في السماوات والأرض ينفع غيره، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: 18] أي: "أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما، وذلك باطل لا تعلم

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، ج3، ص105، بتصرف يسير، وينظر: التدمرية، ص196-197.

2 المصدر نفسه، ج1، ص114.

3 ينظر: ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص231.

4 ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج9، ص416.

5 ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص303.

6 تفسير الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج9/ ص420.

حقيقته وصحته، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر¹.

قال ابن القيم رحمه الله: " وهذا استدلالٌ بنفي علمه للشيء على نفيه في نفسه، إذ لو كان لَعَلِمَهُ، فحيث لم يَعْلَمْهُ فهو غيرُ كائنٍ. ونظيرُ هذا قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾، فهذا نفي لما ادَّعَوْهُ من الشِّفْعَاءِ بنفي علم الرَّبِّ تعالى بهم، المستلزم لنفي المعلوم².

الرد الرابع: تنزيه الله تعالى نفسه عن إشراكهم معه في عبادته ما لا ينفع ولا يضر، كذبًا وافتراء، فقال سبحانه: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: 18]، " فبين سبحانه أن المتخذين شفعاء مشركون، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم هم، وإنما تحصل بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع له³.

الرد الخامس: بيان أن الشفعاء المزعومين لا يملكون شيئًا من النفع والضرر ولا يعقلون، فكيف يمكن لهم أن يشفعوا لهم؟ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أُولَئِكَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾، "وذلك كثير في القرآن بين أن المعبود لا بد وأن يكون مالكا للنفع والضرر، فهو يدعى للنفع والضرر دعاء المسألة، ويدعى خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان⁴.

الرد السادس: بيان أن الشفاعة كلها لله، ولا تتم إلا وفق إرادته؛ وذلك بإذنه جل وعلا بالشفاعة، ورضاه عن الشافع والمشفوع له، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾، "فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذي يَشْفَعُ بنفسه إلى نفسه، ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده⁵.

الرد السابع: بيان أن ملك السماوات والأرض لله تعالى، أما ما يدعونه من دونه فمملوكون لله

1 المصدر نفسه، ج12، ص142.

2 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ج4، ص1576، وينظر: ابن عبد الوهاب، سليمان بن محمد، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، ص238، وابن عبد الوهاب، عبد الرحمن بن حسن، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ص97.

3 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ج1، ص399، وينظر: الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ج2، ص483، والطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج12، ص143.

4 ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص176، وينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص217.

5 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ج1، ص395، وينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص217.

مربوبون له، وبالتالي ينبغي أن تطلب الشفاعة من المالك لا من المملوك، كما قال جل وعلا: ﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹.

الرد الثامن: التهديد بالمصير يوم القيامة، وما فيه من عقابهم وتعذيبهم على شركهم إن ماتوا عليه، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: 44]².

الدعوى الرابعة: اتخاذ الآلهة مع الله تعالى ليكونوا لهم عزا:

أي: أنصارا وأعوانا، ومن جملة نصرتهم إياهم: منعهم من العذاب، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾³. وقد رد الله على المشركين في دعواهم تلك بثلاثة أوجه:

الوجه الأول: النفي المباشر بعارة: ﴿كَلَّا﴾ [مریم: 82] أي: "ليس الأمر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله، في أنها تنقذهم من عذاب الله، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أرادهم بهم ربحهم"⁴.

الوجه الثاني: بيان أن تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله سيتبرؤون ممن عبدوهم يوم القيامة، بأن ينكروا ويحذروا أن يكونوا أمروهم بعبادتهم، ويتبرؤون منهم، كما قال جل وعلا: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مریم: 82]⁵.

الوجه الثالث: أن تلك الآلهة التي اتخذوها من دون الله تعالى ستكون يوم القيامة بعكس ما أملوا فيها، وذلك بأن يكونوا لهم أعداء وأضدادا كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مریم: 82] أي: "وتكون آلهتهم عليهم عونا، والضد: العون"⁶.

قال ابن القيم رحمه الله: "اعتماد العبد على المخلوق، وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولا بد، عكس ما أمله منه، فلا بد أن يخذل من الجهة التي قدر أن ينصر منها، ويذم من حيث قدر أن يحمده. وهذا أيضا كما أنه ثابت بالقرآن والسنة، فهو معلوم بالاستقراء والتجارب، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾⁷ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ [مریم: 81، 82]⁷.

1 ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص217.

2 ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص217.

3 ينظر: المصدر نفسه، ج15، ص623

4 المصدر نفسه، ج15، ص623.

5 ينظر: المصدر نفسه، ج15، ص623.

6 المصدر نفسه، ج15، ص623 بتصرف يسير.

7 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج1، ص63، وينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص613-614.

الدعوى الخامسة: الاستدلال على صحة شركهم بدعواهم تناقض النبي صلى الله عليه وسلم:

وذلك أنهم قالوا ﴿وَقَالُوا أَلَهْمُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: 58] "ووجه حجته المظلمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض. ولما قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: 98] وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها"¹

ووجه الرد على حجته بالحكم عليها أنها من المراء الباطل، الذي يعلمون هم أنفسهم أن لا حجة لهم فيه، كما قال تعالى: ﴿مَا صَرَفْنَاهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: 58] "أي: مراء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية؛ لأنها لما لا يعقل، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: 98]. ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه، فتعين أن مقالته إنما كانت جدلا منهم، ليسوا يعتقدون صحتها"².

وهذه الدعوى "ولله الحمد من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام؛ لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأى شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟"³.

قال ابن تيمية رحمه الله: "بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ الْقَرْقُ الْمَانِعُ مِنَ الْإِلْحَاقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِتًّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101]. وبين أن هؤلاء القائسين ما قاسوه إلا جدلا محضا لا يوجب علما؛ لأن الفرق حاصل بين الفرع والأصل، فإن الأصنام إذا جعلوا حصبا لجهنم كان ذلك إهانة وخزيا لعباديتها من غير تعذيب من لا يستحق التعذيب، بخلاف ما إذا عُذِّبَ عباد الله الصالحون بذنب غيرهم، فإنَّ هذا لا يفعله الله تعالى، لا سيما عند جماهير المسلمين وسائر أهل الملل سلفهم وخلفهم الذين يقولون إن الله لا يخلق ويأمر إلا لحكمة، ولا يظلم أحدا فينقصه شيئا من حسناته، ولا يحمل عليه سيئات غيره"⁴.

1 ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 768.

2 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 235، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، ج 20، ص 540.

3 ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 768.

4 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج 1، ص 223، وينظر: الإخائية، ص 276، وشرح العقيدة الأصفهانية، ص 221.

الدعوى السادسة: اتخاذ الأولياء من دون الله تعالى ليقرّبوهم إليه، ويشفعوا لهم عنده جل وعلا:

وقد وردت هذه الدعوى في قوله تعالى: ﴿الْأَلِلَّةُ الَّذِينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3]، أي: "هؤلاء خواص الرب، فنحن نتقرب إليه بهم كما نتقرب إلى الملوك بخواصهم، فكما أن آحاد الرعية لا تصلح أن تخاطب السلطان، بل يدخل على خواصه حتى يخاطبوه له، كذلك نحن لا يصلح لنا أن نطلب من الله، بل نطلب من خواصه أن يسألوه، وإذا أقدمنا على الطلب منه كان ذلك سوء أدب عليه، واجترأ عليه، كما يكون ذلك سوء أدب على الملوك، واجترأ عليهم. فهذه من أعظم شبه المشركين"¹.

وقد رد الله تعالى عليهم دعواهم هذه بأربعة أوجه، وهي:

الوجه الأول: بيان أن فاعلي هذا الأمر تركوا الدين الخالص الذي أمر الله تعالى به، وتجرؤوا على أعظم المحرمات، ألا وهو الشرك، كما قال تعالى ﴿الْأَلِلَّةُ الَّذِينَ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3]².

الوجه الثاني: التهديد بالعذاب يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 3] "أي: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصليهم جميعاً جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فَوَحَّده، ولم يشرك به شيئاً"³.

الوجه الثالث: بيان عدم توفيقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ [الزمر: 3]⁴.

الوجه الرابع: وصفهم بالكذب والكفر، وذلك أنهم مع كل ما آتاهم الله تعالى من الآيات والحجج، لم يستفيدوا منها، بل كذبوا وكفروا، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: 3]، "فسمي فعلهم هذا كذباً وسماه كفراً، بل سماه مبالغة في الكفر، لأن كفار صيغة مبالغة، فالذي يفعل هذا قد بلغ غاية الكفر وأعظم

1 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص131، وينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة الله في مصايد الشيطان، ج2، ص1011.

2 ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص717.

3 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص158.

4 ينظر: ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص717، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج1، ص525.

الكفر - والعياذ بالله - ¹.

الدعوى السابعة: محاجة قوم إبراهيم عليه السلام له، وذلك بزعمهم أن عبادة آلهتهم خير من عبادة الله تعالى:

وهذه الدعوى قد ذكرها الله في قوله سبحانه: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ [الأنعام: 80]²، وقد رُدَّ على دعواهم بسبعة أوجه، وهي:

الوجه الأول: إنكار إبراهيم عليه السلام عليهم في محاجتهم له في التوحيد، كونه من أوضح الأمور وأجلاها، ومما لا ينبغي أن يتطرق إليه الشك والجدال، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه ﴿قَالَ أَتُحَدِّثُونِي فِي اللَّهِ﴾ [الأنعام: 80]³.

الوجه الثاني: تصريحه بأن الله تعالى قد هداه للحق والتوحيد، حتى صار التوحيد مألوفاً لديه، كما في قوله عليه السلام: ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾ [الأنعام: 80]⁴.

الوجه الثالث: بيان عدم خوفه عليه السلام من آلهتهم أن تصيبه بضر، كما في قوله عليه السلام: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: 80] "أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه: أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً، وأنا لا أخافها، ولا أباؤها"⁵.

الوجه الرابع: بيان أن النفع والضر بيد الله تعالى، لا يقدر عليه إلا هو سبحانه، وذلك في قوله عليه السلام: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: 80] وهو "استثناء منقطع، أي: لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل"⁶.

الوجه الخامس: بيان أن الله تعالى ذو العلم المحيط بكل شيء، وهذا من الكمال الذي يستحق معه العبادة، ويُقْهَم منه في المقابل نقص المعبودات التي اتخذوها من دونه جل وعلا، وذلك في قوله عليه السلام: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: 80]⁷.

1 الفوزان، صالح بن فوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ج1، ص246، وينظر: ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص717، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج1، ص525.

2 ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج9، ص364.

3 ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج9، ص364.

4 ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص364.

5 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص293، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج2، ص202.

6 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص293.

7 ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص365.

وفي هذه العبارة معنى لطيف أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله: "ذكر سعة علمه سبحانه في هذا المقام منبهاً على موقع احترازٍ لطيفٍ، وهو أن الله سبحانه علماً فيّ وفيكم وفي هذه الآلهة لا يصل إليه علمي، فإذا شاء أمراً من الأمور فهو أعلم بما يشاء، فإنه وسع كل شيء علماً، فإن أراد أن يصيبني بمكروه لا علم لي من أي جهة أتاني؛ فعلمه محيطٌ بما لم أعلمه. وهذا غاية التفويض والتبرّي من الحول والقوة وأسباب النجاة، وأنها بيد الله لا بيدي¹".

الوجه السادس: الإنكار عليهم في عدم خوفهم من شركهم بالله تعالى، ومع ذلك يخوفونه من آلهتهم أن تصيبه بضر، كما في قوله عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ نَجْ﴾ [الأنعام: 81] أي: "كيف أخاف ما لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يرزق، والحال أنكم لا تخافون ما صدر منكم من الشرك بالله، وهو الضار النافع الخالق الرازق؟ أورد عليهم هذا الكلام الإلزامي الذي لا يجدون عنه مخلصاً ولا متحولاً، والاستفهام للإنكار عليهم والتقريع²".

الوجه السابع: المقارنة بين المؤمنين والمشركين من حيث الأحقية بالأمن والهداية، وأنها لاشك خاصة بالمؤمنين بالله تعالى، كما في قوله عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81] أي: فأَي الطائفتين أصوب؟ الذي عبد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة³".

الدعوى الثامنة: الاعتداء على حق الله تعالى في التشريع، والكذب عليه في ذلك:

فإن من مقتضيات ألوهية الله تعالى: تفردة تعالى بحق التشريع وبيان الحلال والحرام، والتعدي على هذا الحق بتشريع أمور تخالف ما أمر الله تعالى به، أو نسبة تشريع إلى الله تعالى لم يشرعه هو قدح في الإيمان بألوهية الله تعالى. وقد ذكر الله تعالى عن المشركين دعوى هي في حقيقتها اعتداء على حقه في التشريع، وكذب عليه جل وعلا، وقد وردت هذه الدعوى فيما حكاها الله تعالى عنهم من زعمهم أن الله أمرهم بالفاحشة، فقالوا: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: 28]، وقد اختلف المفسرون في المراد بالفاحشة الواردة

1 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ج1، ص247.

2 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج2، ص153، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص374، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج2، ص203، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ج1، ص248.

3 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص294.

هنا: "فقال أكثر المفسرين: هي طواف المشركين بالبيت عراة.

وقيل: هي الشرك، والظاهر أنها تصدق على ما هو أعم من الأمرين جميعا، والمعنى: أنهم إذا فعلوا ذنبا قبيحا مُتَبَالِغًا في القبح، اعتذروا عن ذلك بعدرين: الأول: أنهم فعلوا ذلك اقتداء بآبائهم لما وجدوهم مستمرين على فعل تلك الفاحشة، والثاني: أنهم مأمورون بذلك من جهة الله سبحانه¹.

وقد رد الله تعالى عليهم فريتهم هذه بخمسة أوجه وهي:

الوجه الأول: النفي المباشر أن يأمر الله بالفحشاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: 28]²، "فإنَّ الفحشاء قبيحة منكرة، تنكرها القلوب بفطرتها، والله لا يأمر بمنكر. وهذا يقتضي أن الأفعال القبيحة السيئة تكون على صفات تمنع معها أن الله يأمر بها"³.

وهم وإن كانوا صادقين في ادعائهم أنهم وجدوا آباءهم على تلك الفواحش، إلا أن الله تعالى لم يصدقهم في ذلك، قال ابن بطه رحمه الله: "فصدقوا في أول الكلام، وكذبوا، وذلك أنهم قد وجدوا عليها آباءهم، فلم يكن يصدقهم الله في ذلك، فيكون تصديقه لهم مدحة لهم، وكذبهم في قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ فقال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾"⁴.

الوجه الثاني: نسبتهم إلى القول على الله تعالى بلا علم، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28] "وفيه من التبريع والتوبيخ أمر عظيم، فإن القول بالجهل إذا كان قبيحا في كل شيء، فكيف إذا كان في التَّقُول على الله؟"⁵

الوجه الثالث: بيان جملة من الأمور الحسنة التي أمر الله تعالى بها، المضادة للفحشاء التي زعموا أن الله تعالى قد أمرهم بها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: 29]⁶، "أكد سبحانه هذا الإنكار بقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: 29]، فأخبر أنه يتعالى عن الأمر بالفحشاء، بل وأمره كلها حسنة في العقول، مقبولة في الفطر؛ فإنه أمر بالقسط لا بالجور، وإقامة الوجوه له عند مساجده لا لغيره، وبدعوته وحده

1 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج2، ص226.

2 ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج2، ص226.

3 ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، الاستقامة، ج2، ص175.

4 ابن بطه، عبيد الله بن محمد، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ج7، ص313.

5 الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج2، ص226.

6 ينظر: ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص286.

مخلصين له الدين لا بالشرك؛ فهذا هو الذي يأمر به تعالى، لا بالفحشاء. أفلا تراه كيف يُخْبِرُ بجنس ما يأمر به وبخسئنه، وينزّه نفسه عن الأمر بضدّه، وأنه لا يليقُ به تعالى؟!¹.

الوجه الرابع: التهديد بالبعث يوم القيامة وما فيه من حساب وعذاب، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]².

الوجه الخامس: بيان أنهم على ضلالة وإن حسبوا أنهم على هدى فيما ذهبوا إليه، "ذلك بسبب أنهم أطاعوا الشياطين في معصية الله، ومع هذا فإنهم يحسبون أنهم مهتدون، ولم يعترفوا على أنفسهم بالضلالة، وهذا أشد في تمردهم وعنادهم"³، كما في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ تَخْتَرِعُونَ إِثْمًا يَجْجِبُ بَخْ بِم﴾ [الأعراف: 30].

المطلب الثالث: دعاوى المشركين التي تتضمن القدح في الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته

وقد ذكر الله جل وعلا ثلاث دعاوى مما احتج به المشركون تمثل قدحًا في الإيمان بأسمائه وصفاته، وهي كالتالي:

الدعوى الأولى: نسبه الولد إلى الله تعالى:

فقد نسب المشركون البنين والبنات لله تعالى، وقد وردت هذه الدعوى في خمسة مواضع وهي:

الأول: في قوله تعالى: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 100]

الثاني: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس: 68]

الثالث: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: 88]

الرابع: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [الأنبياء: 26]

الخامس: في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهْمَ يَقُولُونَ﴾ (١٥١) ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الصافات: 151-152]

وقد رد الله تعالى على دعواهم هذه باثني عشر وجهًا، وبيانا كما يلي:

الوجه الأول: بيان أن قولهم صادر عن جهل وكذب، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 100] يقول: وتخرصوا لله كذبا، فافتعلوا له بنين وبنات"⁴.

1 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ج2، ص882-883.

2 ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج2، ص227.

3 المصدر نفسه، ج2، ص227.

4 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص308، و 42/7، والشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج4، ص474.

الوجه الثاني: بيان أن قولهم بغير علم بحقيقة ما يقولون، بل هو صادر عن جهل بالله تعالى وعظمته، كما في قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 68]¹.

الوجه الثالث: تنزيه الله تعالى عن مثل هذا القول الذي فيه تنقص من حقه جل وعلا، فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100] "أي: تقدس وتنزه وتعظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد، والنظراء والشركاء"².

الوجه الرابع: بيان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض، ومبدعهما على غير مثال سابق، فلا يضاهيه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 101]³.

الوجه الخامس: بيان أن انتفاء صاحبة يلزم منه انتفاء الولد، كما قال جل وعلا: ﴿أَفَنُكُونُ لَهُ وَلَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101] "أي: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ أي: والولد إنما يكون متولداً عن شئئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد"⁴.

الوجه السادس: بيان أنه جل وعلا هو الخالق، وأنه العالم الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101] "فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه؟ وهو الذي لا نظير له، فأني يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"⁵.

الوجه السابع: بيان أنه تعالى هو الغني، فلا حاجة له إلى الولد، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: 68] "لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عوناً له في حياته، وذكر له بعد وفاته، والله عن كل ذلك غني، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره، ولا يبيد فيكون به حاجة إلى خلف بعده"⁶.

1 ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص308، والطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج12، ص229.

2 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص308، وينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج12، ص229.

3 ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص308.

4 المصدر نفسه، ج3، ص308، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج4، ص469.

5 المصدر نفسه، ج3، ص308، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، ج2، ص445.

6 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج12، ص229، وينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، النبوات، ج1، ص185، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ج4، ص1575.

الوجه الثامن: بيان أن الله تعالى له ملك السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات، من إنس وجن وملائكة وغيرها، فكيف يتخذ ولدًا مما يملك؟ كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: 68]¹.

الوجه التاسع: بيان أنهم لا حجة لهم ولا سلطان في قولهم الشنيع هذا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا﴾ [يونس: 68]².

الوجه العاشر: تقييح هذا القول وتشنيعه، وبيان أن هذا القول منكر عظيم، وذلك أن المخلوقات غير الإنس والجن تستعظمه وتستبشعه كأشد ما يكون، حتى إن أعظم المخلوقات رغم عظم خلقها تكاد أن يتغير حالها، فالسماوات تكاد أن تنفطر منه، والأرض تكاد أن تنشق وتتصدع، والجبال أن تخر وتندك، كما حكى الله تعالى ذلك في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا﴾ [مریم: 89 – 91]³.

الوجه الحادي عشر: بيان حال الملائكة الذين نسبوا إلى الله بأنهم بناته -جل وعلا- حيث أنهم في غاية العبودية لله تعالى، والأدب معه، والطاعة له سبحانه، فقد "أخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربيون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته؛ وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره، ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِأَلْفَؤْلٍ﴾ [الأنبياء: 27] أي: لا يقولون قولاً مما يتعلق بتدبير المملكة حتى يقول الله؛ لكمال أدهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 27] أي: مهما أمرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه فعلوه، فلا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله، ومع هذا، فالله قد أحاط بهم علمه، فعلم ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الأنبياء: 28] أي: أمورهم الماضية والمستقبلية، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره"⁴.

الوجه الثاني عشر: ردّ الله على المشركين الذين ينسبون البنات إليه سبحانه ببيان أن نسبة البنات على وجه الخصوص إلى الله لا تصح؛ وذلك أنهم كانوا يفضلون البنين على البنات، فكيف يختص بالبنات ويعطيهم البنين؟

1 ينظر: المصدر نفسه، ج 12، ص 229.

2 ينظر: المصدر نفسه، ج 12، ص 229، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 42، والشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج 4، ص 475، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، ج 1، ص 159.

3 ينظر: ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 501، والطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 15، ص 635، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 266.

4 ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 521.

وهذا من الاستفهام الإنكاري المتضمن معنى التوبيخ، كما قال جل وعلا: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ﴿١٥٧﴾ [الصافات: 153] وكما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40]¹.

الدعوى الثانية: إنكار اسم الرحمن لله تعالى:

وقد ورد هذا الإنكار في موضعين:

الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِسَتَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: 30].

الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: 60] فقد قالوا "جحدنا وكفروا" ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ بزعمهم الفاسد أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول أن قالوا: ينهانا عن اتخاذ آلهة مع الله وهو يدعو معه إلها آخر يقول: يا رحمان"².

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم إنكارهم هذا من وجهين: الوجه الأول: بيان أنه تعالى هو الرب المستحق للعبودية، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرعد: 30].

الوجه الثاني: بيان أنه تعالى هو المستحق لأن يُتَوَكَّلَ عليه ويُتَابَ إليه، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

الدعوى الثالثة: زعمهم عدم علم الله تعالى بأعمالهم:

فقد ظن المكذبون أن الله تعالى لا يعلم كثيرا من أعمالهم، كما حكى الله تعالى محاجتهم لجلودهم وردَّ جلودهم عليهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 22] أي: "ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا من معاصي الله، أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتركوا ركوب ما حرم الله عليكم"³، وقد رد الله على المكذبين في هذا الزعم بأمرين:

1 ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 42، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ج 1، ص 415، والشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج 4، ص 475.

2 ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 585.

3 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 20، ص 411، وينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 172، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج 4، ص 297.

الرد الأول: بيان أن هذا الزعم الفاسد هو سبب ما هم فيه من ردى وخسارة، كما في قوله تعالى حكاية عن حاجة جلودهم لهم: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ "أي: هذا الظن الفاسد -وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون- هو الذي أتلّفكم وأرداكم عند ربكم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ "أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم"¹

الرد الثاني: التهديد بالعذاب وعدم قبول أعذارهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَصْصِرُوا فَاَلْتَارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُم مِّنَ الْمُعْتَجِينَ﴾ "أي: سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وإن طلبوا أن يستعثبوا ويبدوا أعذارا فما لهم أعذار، ولا تقال لهم عثرات"².

1 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 172، وينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج 4، ص 297.

2 المصدر نفسه، ج 7، ص 173.

الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه أن يسر لي الانتهاء من هذا البحث، والذي يمكن تلخيص أهم نتائجه في النقاط التالية:

1. اشتمال القرآن الكريم على عدد من دعاوى المخالفين وحججهم التي تتعلق بالله تعالى، والتي تتضمن قدحًا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته جل وعلا.
2. عظمة القرآن الكريم، وتضمنه أنواعًا من الحجج الباهرة، والردود القاهرة التي تفند حجج الخصوم وترد عليها بأجل أسلوب وأيسره.
3. تنوع الحجج القرآنية في الرد على الخصوم، وتنوع أساليبها، ما بين ردود مباشرة وغير مباشرة، وتضمنها كثيرًا من الردود التي تخاطب العقل والوجدان، وتنفع من كان أهلاً للاستفادة منها.
4. تضمن القرآن الكريم الردّ على جميع الحجج والدعاوى التي يوردها المخالفون، حتى وإن كانت تافهة لا وزن لها، ولكن لما كان القرآن كتاب نور وهداية، فكان لابد من الرد على تلك الحجج والدعاوى، وبيان بطلانها؛ لوجود فقام من الناس قد اغتروا بها.
5. الردود الواردة في القرآن الكريم على حجج المخالفين ودعاواهم هي بالمجموع لا بالأعيان، وذلك أن عدم ورود رد على دعوى من الدعاوى في موطن لا يعني عدم الرد عليها في مواطن أخرى.
6. الخدمة الجليلة التي قام بها علماء التفسير للقرآن الكريم، وبيّانهم لكنوزه ومعانيه وهداياته، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفاه.

• توصيات البحث:

1. أهمية العناية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا.
2. أهمية الرجوع إلى دعاوى المخالفين الواردة في القرآن الكريم، والإفادة من الأسلوب القرآني في الرد عليها وتفنيدها، وخاصة الدعاوى التي ورد تكرارها، إذ إنّ كثيرًا من الدعاوى والحجج المعاصرة لها أصل من تلك الدعاوى والحجج.
3. استكمال مشروع الدعاوى الواردة في القرآن الكريم، وهو ما أسأل الله أن ييسره لي ويعينني عليه.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

- [1] Ibn Abī al-‘Izz, M. ibn ‘Alī. (1997). Sharḥ al-‘Aqīdah al-Ṭahāwiyyah (Shu‘ayb al-Arna‘ūt & ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, Eds.; 10th ed.). Mu‘assasat al-Risālah.
- [2] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019a). Ijtimā‘ al-juyūsh al-Islāmiyyah ‘alā ḥarb al-mu‘aṭṭilah wa-al-Jahmiyyah (Zā‘id ibn Aḥmad al-Nushayrī, Ed.; 4th ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [3] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019b). Ighāthat al-lahfān fī maṣā‘id al-shayṭān (M. ‘Uzāir Shams, Ed.; 3rd ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [4] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019c). Al-Dā’ wa-al-dawā’ (M. Ajmal al-Iṣlāḥī, Ed.; 4th ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [5] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (1988). Al-Ṣawā‘iq al-mursalāh fī al-radd ‘alā al-Jahmiyyah wa-al-mu‘aṭṭilah (‘Alī ibn Muḥammad al-Dukhayl Allāh, Ed.; 1st ed.). Dār al-‘Āṣimah.
- [6] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019d). Badā‘i‘ al-fawā‘id (‘Alī ibn Muḥammad al-‘Umrān, Ed.; 5th ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [7] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019e). Zād al-ma‘ād fī hady khayr al-‘ibād (M. Ajmal al-Iṣlāḥī et al., Eds.; 3rd ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [8] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019f). Shifā’ al-‘alīl fī maṣā’il al-qaḍā’ wa-al-qadar wa-al-ḥikmah wa-al-ta’līl (Zāhir ibn Sālim Balfiqīh, Ed.; 2nd ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [9] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019g). Madārij al-sālikīn fī manāzil al-sā’irīn (2nd ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [10] Ibn al-Qayyim, M. ibn Abī Bakr. (2019h). Miftāḥ dār al-sa‘ādah wa-manshūr wilāyat al-‘ilm wa-al-irādah (‘Abd al-Raḥmān ibn Qā’id, Ed.; 3rd ed.). Dār ‘Aṭā’āt al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [11] Ibn al-Wazīr, M. ibn Ibrāhīm. (1994). Al-‘Awāṣim wa-al-qawāṣim fī al-dhabb ‘an sunnat Abī al-Qāsim (Shu‘ayb al-Arna‘ūt, Ed.; 3rd ed.). Mu‘assasat al-Risālah.
- [12] Ibn Baṭṭah, ‘U. ibn M. (1995). Al-Ibānah ‘an sharī‘at al-firqah al-nājiyyah wa-mujānabat al-firaq al-madhmūmah (Riḍā Mu‘ṭī et al., Eds.). Dār al-Rāyah li-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

- [13] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (1999). Al-Jawāb al-ṣaḥīḥ li-man baddala dīn al-Masīḥ (‘Alī ibn Ḥasan et al., Eds.; 2nd ed.). Dār al-‘Āṣimah.
- [14] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (2000). Al-Nubuwwāt (‘Abd al-‘Azīz ibn Ṣāliḥ al-Ṭuwayān, Ed.; 1st ed.). Aḍwā’ al-Salaf.
- [15] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (2004). Majmū‘ al-fatāwā (‘Abd al-Raḥmān ibn Qāsim, Comp. & Arr.). Majma‘ al-Malik Fahd li-Ṭibā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf.
- [16] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (1999). Iqtidā’ al-ṣirāṭ al-mustaḳīm li-mukhālafat aṣḥāb al-jahīm (Nāṣir ‘Abd al-Karīm al-‘Aql, Ed.; 7th ed.). Dār ‘Ālam al-Kutub.
- [17] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (2000). Al-Ikhnā’iyyah (Aḥmad ibn Mūnis al-‘Anazī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Kharrāz.
- [18] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (1983). Al-Istiḳāmah (M. Rashād Sālim, Ed.; 1st ed.). Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd.
- [19] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (2000). Al-Tadmuriyyah (M. ibn ‘Awdah al-Sa‘wī, Ed.; 6th ed.). Maktabat al-‘Ubaykān.
- [20] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (2019). Al-Radd ‘alā al-Shādhilī fī ḥizbayhi wa-mā ṣannafahu fī ādāb al-ṭarīq (‘Alī ibn Muḥammad al-‘Umrān, Ed.; 3rd ed.). Dār ‘Aṭā’at al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [21] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (1995). Bughyat al-murtād fī al-radd ‘alā al-mutafalsifah wa-al-Qarāmiṭah wa-al-Bāṭiniyyah (Mūsā al-Duwaysh, Ed.; 3rd ed.). Maktabat al-‘Ulūm wa-al-Ḥikam.
- [22] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (2005). Bayān talbīs al-Jahmiyyah fī ta’sīs bida‘ihim al-kalāmiyyah (Majmū‘at muḥaqqiqīn, Eds.; 1st ed.). Majma‘ al-Malik Fahd li-Ṭibā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf.
- [23] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (2001). Jāmi‘ al-rasā’il (M. Rashād Sālim, Ed.; 1st ed.). Dār al-‘Aṭā’.
- [24] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (2019). Jāmi‘ al-masā’il (M. ‘Uzaīr Shams et al., Eds.; 2nd ed.). Dār ‘Aṭā’at al-‘Ilm; Dār Ibn Ḥazm.
- [25] Ibn Taymiyyah, A. ibn ‘Abd al-Salām. (1991). Dar’ ta’āruḍ al-‘aql wa-al-naql (M. Rashād Sālim, Ed.; 2nd ed.). Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmiyyah.

- [26] Ibn Taymiyyah, A. ibn 'Abd al-Salām. (2005). Sharḥ al-'Aqīdah al-Aṣfahāniyyah (M. ibn Riyāḍ al-Aḥmad, Ed.; 1st ed.). Al-Maktabah al-'Aṣriyyah.
- [27] Ibn Taymiyyah, A. ibn 'Abd al-Salām. (1997). Qā'idah 'aẓimah fī al-farq bayna 'ibādāt ahl al-Islām wa-al-īmān wa-'ibādāt ahl al-shirk wa-al-nifāq (Sulaymān ibn Ṣāliḥ al-Ghuṣn, Ed.; 2nd ed.). Dār al-'Āṣimah.
- [28] Ibn Taymiyyah, A. ibn 'Abd al-Salām. (1986). Minhāj al-sunnah al-nabawiyyah fī naqḍ kalām al-Shī'ah al-Qadariyyah (M. Rashād Sālim, Ed.; 1st ed.). Jāmi'at al-Imām Muḥammad ibn Sa'ūd al-Islāmiyyah.
- [29] Ibn Sa'dī, 'A. al-R. ibn Nāṣir. (2000). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān ('Abd al-Raḥmān ibn Mu'allā al-Luwayḥiq, Ed.; 1st ed.). Mu'assasat al-Risālah.
- [30] Ibn 'Abd al-Wahhāb, Sulaymān ibn 'Abd Allāh. (2002). Taysīr al-'Azīz al-Ḥamīd fī sharḥ Kitāb al-Tawḥīd (Zuhayr al-Shāwīsh, Ed.; 1st ed.). Al-Maktab al-Islāmī.
- [31] Ibn 'Abd al-Wahhāb, Sulaymān ibn Muḥammad. (1984). Al-Tawḍīḥ 'an tawḥīd al-khallāq fī jawāb ahl al-'Irāq (1st ed.). Dār Ṭayyibah.
- [32] Ibn 'Abd al-Wahhāb, 'Abd al-Laṭīf ibn 'Abd al-Raḥmān. (1989). Al-Barāhīn al-Islāmiyyah fī radd al-shubḥah al-Fārisiyyah (1st ed.). Maktabat al-Hidāyah.
- [33] Ibn 'Abd al-Wahhāb, 'Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan. (1990). Kitāb al-Tawḥīd wa-qurraṭ 'uyūn al-muwahḥidīn fī taḥqīq da'wat al-anbiyā' wa-al-mursalīn (Bashīr Muḥammad 'Uyūn, Ed.; 1st ed.). Maktabat al-Mu'ayyad; Maktabat Dār al-Bayān.
- [34] Ibn Kathīr, I. ibn 'U. (1999). Tafsīr al-Qur'ān al-'aẓīm (Sāmī ibn Muḥammad al-Salāmah, Ed.; 2nd ed.). Dār Ṭayyibah li-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- [35] Al-Baghawī, Ḥ. ibn M. ibn M. ibn al-Farrā'. (2000). Ma'ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān ('Abd al-Razzāq al-Mahdī, Ed.; 1st ed.). Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.
- [36] Al-Ḥakamī, Ḥ. ibn A. (1990). Ma'ārij al-qabūl bi-sharḥ Sullam al-wuṣūl ilā 'ilm al-uṣūl ('Umar ibn Maḥmūd Abū 'Umar, Ed.; 1st ed.). Dār Ibn al-Qayyim.
- [37] Al-Shāṭibī, I. ibn M. (1997). Al-Muwāfaqāt (Mashhūr Ḥasan Salmān, Ed.; 1st ed.). Dār Ibn 'Affān.
- [38] Al-Shawkānī, M. ibn 'Alī. (1994). Faṭḥ al-qadīr. Dār Ibn Kathīr; Dār al-Kalim al-Ṭayyib.
- [39] Al-Ṭabarī, M. ibn Jarīr. (2001). Jāmi' al-bayān 'an ta'wīl āy al-Qur'ān ('Abd Allāh ibn 'Abd al-Muḥsin al-Turkī, Ed.; 1st ed.). Dār Hajr li-al-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-I'lān.

- [40] Al-‘Umarī, W. ibn ‘Abd al-Muḥsin. (2015). Al-maqūlāt allatī abṭalahā al-Qur’ān wa-manhajuhu fī ibṭālihā: Dirāsah ta’šīliyyah mawḍū‘iyyah. Kursī al-Qur’ān al-Karīm wa-‘Ulūmuhu, Jāmi‘at al-Malik Sa‘ūd.
- [41] Al-Fawzān, Ṣ. ibn Fawzān. (2002). I‘ānat al-mustafīd bi-sharḥ Kitāb al-Tawḥīd (3rd ed.). Mu’assasat al-Risālah.
- [42] Al-Qurṭubī, M. ibn Aḥmad al-Anṣārī. (1964). Al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān (Aḥmad al-Bardūnī & Ibrāhīm Aṭṭaysh, Eds.; 2nd ed.). Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

TRANSLITERATION

a. Consonant

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ء	‘	فَأَرْ	fārun
أ	(a,i,u)	أَحْكَام	aḥkām
ب	b	بَابُ	bābun
ت	t	تَمْرٌ	tamr
ث	th	ثَلَاثُ	thalātha
ج	j	جَبَلٌ	Jabal
ح	ḥ	حَدِيثٌ	ḥadīth
خ	kh	خَالِدٌ	khālīd
د	d	دِين	dīn
ذ	dh	مَذْهَبٌ	madhhab
ر	r	رَاهِبٌ	rāhib
ز	z	زَكِيٌّ	zakī
س	s	سَلَامٌ	salām
ش	sh	شَرَبَ	sharaba
ص	ṣ	صَدْرٌ	ṣodrun
ض	ḍ	ضَارٌ	ḍār
ط	ṭ	طَهْرٌ	ṭahura
ظ	ẓ	ظَهْرٌ	ẓohr
ع	‘	عَبْدٌ	‘abdun
غ	gh	غَيْبٌ	ghayb
ف	f	فَاتِحَةٌ	Fātihah
ق	q	قَبَسٌ	qabas
ك	k	كِتَابٌ	kitāb

ل	l	لَيْلٌ	layl
م	m	مُنِيرٌ	munīr
ن	n	نِقَابٌ	niqāb
و	w	وَعَدٌ	wa ^c ada
هـ	h	هَدَفٌ	hadaf
ي	y	يُوسُفُ	Yūsuf

b. Short Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ	a	كَتَبَ	kataba
اِ	i	عَلِمَ	‘alima
اُ	u	عُلِبَ	ghuliba

c. Long Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ ، اِ ، اِوْ	ā	عَالَمٌ ، فَتَى	‘ālam , fatā
اِي	ī	عَلِيمٌ ، دَاعِي	‘alīm , dā‘ī
اُو	ū	عُلُومٌ ، اُدْعُو	‘ulūm , ‘ud‘ū

d. Diphthong

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
أَوْ	aw	أَوْلَادٌ	aulād
أَيَّ	ay	أَيَّامٌ	ayyam
إِيَّ	iy	إِيَّكَ	iyyāka